جماليّات التّشكيل الشّعريّ عند الشّاعر برهم النّصر الله
قراءة جماليّة في قصيدة (قارَبَ العيدُ)

د. بسام البردان

ملخّص البحث:

يتناول هذا البحث قصيدة شعريّة عنوانها (قارَبَ العيدُ) للشّاعر برهم النّصر الله، ويحاول الدخول في فضاءات النّصّ الشّعريّ البديعة؛ لاستكشاف نسقه الجماليّ، وبيان جماليّاته الشّعريّة التي أكسبته زخماً دلاليّاً وعمقاً وتكثيفاً وتنوّعاً، فغدا فاعلاً مدهشاً يمنح متلقّيه خيارات متعدّدة للتّأويل.

ولعلّ قراءة النّصّ الشّعريّ قراءة جماليّة على وفق مقولات علم الجمال تكشف عن بؤر توتّر الرّؤى الشّعريّة العميقة للشّاعر المبدع في تجربته الشّعريّة الجماليّة التي تتوافق مع الوقائع الحقيقيّة للحياة؛ فيكون الشّاعر قد أغنى تجربته الشّعريّة في قصيدته بوساطة احتفائه بالعناصر المكوّنة والمؤثّرة في القيمة الجماليّة، وأثراها بدلالات نابعة من روحه الشّعريّة المفعمة بالرّؤى والانفعالات.

وتبدو جماليّة التّشكيل الشّعريّ قيمة تفاعليّة مؤثّرة في خلق المؤثّرات الجماليّة التي تباغت المتلقّي بمستوى المكتشفات النّصّيّة التي تحقّق غايتها وقيمتها الإبداعيّة.

الكلمات المفتاحيّة: (جماليّات – التّشكيل الشّعريّ – قارب العيد– برهم النّصر الله).

جامعة الفرات – كلية الآداب والعلوم الإنسانية

المقدّمة:

جاءت قصيدة (قارَبَ العِيدُ) للشّاعر برهم النّصر الله[1] في مجموعته الشّعريّة (لكَ طاب الغناء)، فاحتلّت فيها موقعاً حسناً؛ ولذلك فإنّ الدخول في فضاءات هذا النّصّ الشّعريّ البديعة، والبحث فيه عن مواطن الجمال تشكّل أهمية بالغة.

وحقّاً، إنّ الشّعر من الفنون الجميلة، لكنّه يغدو أكثر جمالاً وأشدّ جاذبيّة حينما يشكّل نسقاً جماليّاً عن طريق التّداعي الدّلاليّ، والمغايرة، والقدرة على الإدهاش. فالجماليّات الشّعريّة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإبداع الذي يتجلّى بالرّؤى الشّعريّة للشّاعر المبدع الذي أنتج النّصّ الشّعريّ الجميل، وهذه الجماليّات تهتمّ بالقيمة، والعناصر التي تكسب النّصّ الشّعريّ جمالاً فنّيّاً فاتناً جذّاباً؛ وهذا ما دفعني إلى اختياره والبحث فيه.

ويبدو أنّ جماليّات التّشكيل الشّعريّ في النّصّ الشّعريّ تجعله يتميّز بالتّكثيف، والعمق، والتّنوّع، فيغدو فاعلاً مدهشاً تتّسع دلالاته، فيمنح المتلقّي خيارات متعدّدة للتّأويل، و"مرحلة التّأويل مرحلة معقّدة؛ لأنّها تتركّز على فاعليّة الذّات بإقامتها حواراً داخليّاً مع أبنية النّصّ وفراغاته"[2]، فكلّما استطاع الشّاعر المبدع أن يوظّف أدواته الفنّيّة توظيفاً جيّداً، ويمنح نصّه الشّعريّ زخماً دلاليّاً فإنّه يضفي على نصّه

(1) برهم نصر الله النصر الله: شاعر سوري من مواليد 1960م، حاصل على إجازة في اللغة العربية وآدابها عام 1982م، ودبلوم تأهيل تربوي عام 1985م من جامعة دمشق، عمل مدرساً للغة العربية، وشارك في عدد من المسابقات والملتقيات والمهرجانات الأدبية، وحصل فيها على المراكز الأُوَل، له ثلاث مجموعات شعرية مطبوعة، وست مجموعات مخطوطة، وهي قيد الطباعة، وما زال عطاؤه مستمراً.

(2) الرباعي، عبد القادر، قراءة النص الشعري التراثي وتأويله: عينيّة ابن المعتز أنموذجاً، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 10 العدد آب 2013م، ص 328.

ملامح جماليّة مهمّة، فيغدو نصّاً شعريّاً ذا نسق جماليّ فاتن، يتفاعل معه المتلقّي تفاعلاً جماليّاً آسراً.

ولعلّ من المفيد أن أبيّن أنّ هذه الدّراسة تهدف إلى فهم البنى الجماليّة التي تحرّك هذا النّصّ (قارَبَ العِيدُ)، وتنتج حمولاته الدّلاليّة، عن طريق تشريح معماريّة القصيدة وتأمّل محتواها، وقد اخترت أن يكون منهجي متداخلاً ما بين مقولات علم الجمال الشّعريّة والمفاهيم النّصّية لعلم النّصّ، والاشتغال على وفق المنهج المعياريّ تارة والوصفيّ تارة أخرى، وهذا ما جعل الدّراسة تخرج من صرامة المنهج وتفرّد الرّؤية، وتدخل بين ما هو نصّيّ وسياقيّ؛ لتماشي تجربة الشّاعر، وطبيعة النّصّ المدروس.

أولاً ـ النّصّ الشّعريّ[3]:

(قارَبَ العيدُ)

قَـــارَبَ العِيْـــدُ فَـــاجنَحُوا أُلاَّفِـــي ... لِلِقَـــــاءٍ مُعَطَّـــــرٍ بِالتَّصَـــــافِي

أَبْـــدِلُوا بِالقَـــدِيمِ ثَوبـــاً جَدِيـــداً ... فَـــاخِرَ الطِّيْـــبِ زَاخِـــراً بِالعَفَـــافِ

وَاسْـــتَحِمُّوا فَـــاسْأَلُوهُ أَنْـــزَلَ مَـــاءً ... إِثْـــرَ مَـــاءٍ مِـــنَ الشَّـــوَائِبِ صَـــافِ

وَاجْعَلُـــوا المَـــاءَ عِبْـــرَةً كَـــي تَعِيشُـــوا ... فِـــي صَـــفَاءٍ مُبَاعِـــدٍ لِخِـــلافِ

وَاخْـــتِلافُ الأَطْيَـــافِ لَـــيْسَ خِلافـــاً ... إِنَّـــــهُ دَافِـــعٌ لِخَيْـــرِ ائْـــتِلافِ

شَـــاءَ رَبُّ السَّـــمَاءِ لِلنَّـــاسِ حُبّـــاً ... فَـالزَمُوا الحُـبَّ فَهـوَ أَسْـمَى القِطَـافِ

وَأَحِبُّـــوا يَـــا أَيُّهَـــا النَّـــاسُ بَعْضـــاً ... مَنْهَجـــاً يَجْعَـــلُ الجَفَـــاءَ يُجَـــافِي

إِنَّمَـــــا المُؤمِنُـــــونَ إِخْـــــوَةُ رُوْحٍ ... شَـــاءَهَا اللهُ شِـــرْعَةً لائْتِفَـــافِ

كُـــلَّ عَـــامٍ وَأَنْـــتُمُ الخَيْـــرُ فِيْـــهِ ... وَالمُنَـــى أَنْـــتُم سَـــكَنْتُم شَـــغَافِي

رَاجِيـــــاً أَنْ تَنْعَمُـــــوا بِسَـــــلامٍ ... فِيْـهِ يَسْـمُو الـوِدَادُ صِـنْوَ التَّعَـافِي

وَانْظُـــرُوا فَالحَيَـــاةُ ذَاتُ حُـــدُودٍ ... مِثْـــلُ بَحْـــرٍ مُسَـــوَّرٍ بِالضِّـــفَافِ

وَأَحِبُّـــوا الأَنَـــامَ كَـــي تُسْـــعِدُوهُم ... يَـومُكُم قَـدْ يَكُـونُ أَقْصَـى المَطَـافِ

رِحْلَـــةُ العُمْـــرِ مِثْـــلُ حُلْـــمٍ فَكُونُـــوا ... أَنقِيَـــــاءً تَزَيَّنُـــــوا بِالكَفَـــــافِ

وَاتْرُكُـــوا بَعْـــدَكُم ضِـــيَاءَ فِعَـــالٍ ... بَصـــمَاتٍ تَبُـــوحُ بِالأَوصَـــافِ

وَحْـــدَهَا المَـــأثُرَاتُ تَخلُـــدُ ذِكْـــراً ... لامْـرِئٍ لَـمْ يَـرُمْ سِـوَى الإِنصَـافِ

أَيُّهَـــا السَّـــالِمُونَ إِنِّـــي وَثُـــوقٌ ... لَـــيسَ تَنْســـونَ بَصْـــمَةَ الأَســـلافِ

سَـــبَقُونَا إِلَـــى دِيَـــارِ خُلُـــودٍ ... لَـــيْسَ فِيهَـــا مَوَاجِـــعُ الاعتِسَـــافِ

تَرَكُـــوا مَـــوطِنَ الخَرِيـــفِ وأَضـــحَوا ... فِـــي رَبِيـــعٍ مُنَـــزَّهٍ عَـــنْ جَفَـــافِ

إِنَّـــــهُ العِيـــــدُ مَوسِـــــمٌ يَتَجَلَّـــــى ... فَيـــهِ تَقـــوِيمُ مَســـلَكٍ ذِي انْحِـــرَافِ

وَتَـــرَى الصَّـــفحَ فِيـــهِ صَـــارَ قَرِيبـــاً ... فِـــي مَسَـــارٍ مُجمَـــلٍ للطَّـــوَافِ

وَتَـــرَى فَيـــهِ للأَمَـــانِي اخْضِـــرَاراً ... فَهـوَ يَنـأَى عَـنِ السِّـنِينَ العِجَـافِ

([3]) النصر الله، برهم، (لكَ طاب الغناء)، مجموعة شعرية، دمشق 2023م. ط1، ص39.

يَســـتَحِقُّ الحُـــدَاءَ فِيـــهِ طَـــويلاً ... وَاحْتِفَـــاءً بِـــهِ بِـــأَبهَى القَـــوَافِي
هَتَـــفَ القَلـــبُ صَـــادِقاً مِثـــلَ طِفْـــلٍ ... رَفَـــعَ الصَّـــوتَ مُولَعـــاً بِالهُتَـــافِ
لِلأَحِبَّـــاءِ مِـــنْ عُيُـــونِ فُـــؤَادِي ... كُـــلُّ حُـــبٍّ يَلِيـــقُ بِـــالأُلاَّفِ
يَـــا لَحُـــبٍّ لَكُـــم تَجَلَّـــى بِقَلبِـــي ... فَتَسَـــامَى شَمْسـاً بِغَيـــرِ انْكِسَـــافِ
كُـــلُّ عِيـــدٍ يَجِـــيءُ يَنسَـــابُ نَبْعـــاً ... سَلسَـــبِيلاً يَطِيـــبُ مِنـــهُ ارتِشَـــافِي
عِيـــدُ فِصْـــحٍ وعِيـــدُ فِطْـــرٍ تَسَـــامَا ... فَهمَـــا رَمـــزُ حُبِّنَـــا الشَّـــفَّافِ
وَحـــدَهُ الحُـــبُّ مَـــنْ يَشِـــيدُ حَيَـــاةً ... مِثـــلَ طَـــودٍ أَشَـــمَّ عَـــالِي المَنَـــافِ

ثانياً. القراءة الجماليّة:

لعلّ مواطن الجمال المتتبّعة في قصيدة (قارَبَ العِيدُ) هي العناصر المكوّنة لمصطلح (الجمال) [4] الذي يعدّ قيمة من القيم الجماليّة الأربع التي حدّدها الباحثون في الجمال عند العرب[5]، وهي: الرِّقّة والرَّوعة والجمال والضَّحك[6]، وهؤلاء الباحثون يضعون تعريفاً للقيمة الجماليّة (الجمال) فيقولون: "هو تناسب كامل

([4]) الجمال: لغة هو رقّة الحُسْن أو الحُسْن الكثير، واصطلاحا (عند الفلاسفة) هو صفة تُلحَظ في الأشياء، وتبعث في النفس سروراً ورضاً. و(علم الجمال) باب من أبواب الفلسفة يبحث في الجمال ومقاييسه ونظرياته. وقد ارتبط التفكير الجمالي قديماً عند الأوربيين بنظريّات الكون والإلهيات، إلا أنه اقترب من نظريات المعرفة والأخلاق عبر التاريخ، ويبدو أن هذا التفكير الجمالي نشأ بنشوء الفلسفة مع فلاسفتها القدماء من اليونان بدءاً بكسينوفان ومروراً بأفلاطون وأرسطو، واستمدّ أصوله من المذاهب الفلسفية الأوربية، فأصبح لديهم مذاهب جمالية منها: مذهب أفلاطون، ومذهب أرسطو، ومذهب كانط، =ومذهب هيغل، ومذهب شوبنهاور، ومذهب برغسون...وغيرهم. أما العرب فقد ارتبط التفكير الجمالي قديماً عندهم بالقضايا النقدية والفقهية، فمثلاً كان للجاحظ أفكار جمالية في أثناء تناوله لقضية اللفظ والمعنى، إذ تحدث عن التصوير في الشعر، وأثر الأصوات في المتلقين، وعمود الجمال. وكان لأبي حيان التوحيدي أيضاً أفكار جمالية ظهرت في حديثه عن: الحَسَن والقبيح، واللذة النفسية، والفنّ =والطبيعة والإلهام، وكان أيضاً لأبي حامد الغزالي أفكار جمالية تمثلت في حديثه عن: أحوال السماع، والوجد ومراتبه، وأوجه تفضيل الغناء على القرآن، وكان لإخوان الصفا أيضاً أفكار جمالية تمثلت في حديثهم عن الحس والإحساس والمحسوسات. أما المحدثون من الباحثين العرب في علم الجمال فقد ارتبطت أفكارهم الجمالية بالقضايا النقدية الحديثة، ومنهم مثلاً الدكتور جابر عصفور في كتابه الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، وفي كتبه الأخرى، ومنهم أيضاً الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه دراسات فنية في الأدب العربي، وفي أبحاثه الأخرى، ومنهم أيضاً الدكتور فؤاد مرعي في كتابه الجمال والجلال (دراسة في المقولات الجمالية)، وغيره من كتبه الأخرى، ومنهم أيضاً الدكتور سعد الدين كليب في كتابه البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي، وغيره من كتبه الأخرى. وللاستزادة يُنظَر: – مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، 1972م، مادة (جمل). و– حسين، عبد الكريم محمد وآخران، دراسات في علم الجمال، منشورات جامعة دمشق،2019م، ص379 وما بعدها. و– اليافي، د.عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، مطبعة جامعة دمشق 1963م. و– مرعي، د.فؤاد، الجمال والجلال (دراسة في المقولات الجمالية)، دار طلاس، دمشق، 1991م. و– عصفور، د.جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1992م. – كليب، د.سعد الدين، البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي، وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1997م، وط2، دار نون4، حلب، 2006م.

([5]) ينظر: الحاشية السابقة رقم (4).

([6]) ينظر: اليافي، د.عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، ص11 وما بعدها.

هادئ من دون إفراط ولا تفريط، قد بلغ كلّ جزء منه فيه حدّه المناسب التّامّ، وائتلف منسجماً مع بقيّة العناصر الأخرى"[7].

فالجمال الذي نبحث عنه في الشّعر يتحقّق حين يطابق لفظه معناه دون زيادة أو نقصان، وحين توافق الفكرة الشّكل؛ أي عندما يتوافق الشّكل مع المضمون. ولأنّ الجمال يتّصف بالتّناسب التّامّ بين الأجزاء، فإنّ لكلّ لفظ فيه مكانه من القصيدة، حتّى إنّه يتعذّر استبدال لفظ بلفظ آخر، وهذا ما أسمّيه متانة الصّياغة الشّعريّة وحسن سبكها، ويُضَاف إلى ذلك كلّه جمال التّصوير.

1- جماليّة التّطابق بين اللّفظ والمعنى:

إنّ أوّل موطن من مواطن الجمال في هذا النّصّ هو التّطابق بين ألفاظه ومعانيه، وهذه القضيّة الجماليّة الشّعريّة اتّفق عليها نقّاد الشّعر العربيّ القدماء منهم والمحدثون، فهم يرون أنّ "اللّفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الرّوح بالجسم"[8]، وهم يرون أيضاً أنّ "قيمة النّصّ الشّعريّ . شعريّته . مرتبطة به بصفته المعنى الأشمل والأجمل، فيه يتكامل خطاب القراءة مع خطاب النّصّ الشّعريّ؛ لأنّه يصبح غايتهما المشتركة"[9]. ويبدو أنّ الشّاعر في هذا النّصّ قد جعل لغته الشّعريّة أداة للتّشكيل الشّعريّ كلّه؛ إذ عمد إلى توظيف هذه اللّغة توظيفاً فنّيّاً مؤدّياً إلى الغاية الجماليّة التي ترتقي بالشّعر ارتقاء عالياً، وظهر ذلك عن طريق المطابقة بين اللّفظ والمعنى؛ فالشّاعر استخدم ألفاظاً محدّدة؛ ليدلّ بها على معانٍ مقصودة، ومن ذلك أنّه أسند الفعل (قارَبَ) إلى العيد، وهذا الفعل يدلّ على دنوّ الحدوث، في حين أنّه عبّر عن جوّ المحبّة والتّسامح الذي يتميّز به العيد بلفظتي: (ألاّفي) و(التّصافي) اللتين تدلاّن على الوداد والأنس والألفة والصّفاء، وعندما أراد من أبناء مجتمعه أن يتخلّصوا من أدران الحقد والكراهية، وينقّوا نفوسهم من البغض والحسد؛ لتصبح قلوبهم سليمة صافية، فإنّه قال:

([7]) المرجع نفسه:. ص38

([8]) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ت: محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م، ج1/ ص124 . وينظر . للاستزادة . أيضاً: الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998م، ج1/ ص136. وكذلك: الحيوان، ت: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965م، ج3/ ص131. = ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ت: الشيخ محمد عبد المنعم العربان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1994م، ج1/ ص90. = ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي، عيار الشعر، ت: د.طه الحاجري ود.محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة: 1956م، ص80. = العسكري، أبو هلال، الصناعتين (الكتابة والشعر)، ت: د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981م، ص12-13. = الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1991م، ص5 وما بعدها. وكذلك: دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ومطبعة المدني، د.ت، ص222 .

([9]) الرباعي، د.عبد القادر، جماليات المعنى الشعري: التشكيل والتأويل، دار جرير، عمّان/ الأردن، ط1، 2009م، ص103. وانظر للاستزادة . أيضاً: هلال، د.محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1971م، ص270-271. = إسماعيل، د.عز الدين، الأسس الجمالية في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1968م، ص206-207. = دهمان، د.أحمد علي، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً، دار طلاس، دمشق، ط1، 1986م، ج1، =ص190. العشماوي، د.محمد زكي، قضايا النقد الأدبي والبلاغة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1968م، ص294. = خليفة، عبود، قضية اللفظ والمعنى في الميزان الجرجاني، مجلة حوليات كلية الآداب واللغات لجامعة طاهري محمد بشار، الجزائر، العدد 15، ص156.وص 160.

وَاسْـــتَحِمُّوا فَـــاسُ أَنْـــزَلَ مَـــاءً إِثْـــرَ مَـــاءٍ مِـــنَ الشَّـــوَائِبِ صَـــافِ

ويأتي الطّباق الحاصل بين لفظتي (اختلاف وائتلاف) للتّعبير عن حالة التّسامح والتّصالح، ونبذ الخلاف والتّصارع عند أبناء المجتمع، على نحو ما يظهر في قوله:

وَاخْـــتِلافُ الأَطْيَـــافِ لَـــيْسَ خِلافـــاً إِنَّـــــهُ دَافِـــعٌ لِخَيْـــرِ ائْـــتِلافِ

ويسعى الشّاعر في خطابه الشّعريّ إلى إرساء قيمة المحبّة، وبثّ روح الأخوّة والودّ، ونشر السّلام بين أبناء مجتمعه، فيستخدم ألفاظاً تتطابق مع هذه المعاني تطابقاً تامّاً لطيفاً، من مثل: (فالزموا الحبّ – أحبّوا – منهجاً – إخوة روح – التفاف)، وذلك في قوله:

شَـــاءَ رَبُّ السَّـــمَاءِ لِلنَّـــاسِ حُبّـــاً فَـالزَمُوا الحُـبَّ فَهـوَ أَسْـمَى القِطَـافِ

وَأَحِبُّـــوا يَـــا أَيُّهَـــا النَّـــاسُ بَعْضـــاً مَنْهَجـــاً يَجْعَـــلُ الجَفَـــاءَ يُجَـــافِي

إِنَّمَـــــا المُؤمِنُـــــونَ إِخْـــــوَةُ رُوْحٍ شَـــــاءَهَا اللهُ شِـــــرْعَةً لالْتِفَـــــافِ

ولا ينسى الشّاعر . وهو يتحدّث عن هذه القيم الأخلاقيّة النّبيلة . أن يشير إلى معنى آخر، أو قيمة أخرى تبتعد في حقلها الدّلاليّ عن هذه القيم، لكنّها تبرز بروزاً واضحاً في طقوس العيد؛ إنّها ظاهرة تقويم السّلوكيّات الفرديّة المنحرفة، والانخراط في صفوف الجماعة، إذ إنّ من أعراف العيد وتقاليده أن يقوم النّاس بنشاطاتهم الاجتماعيّة المتنوّعة عن طريق تجمّعهم والتفافهم حول بعضهم بعضاً، على نحو ما يظهر في قوله:

إِنَّـــــهُ العِيـــــدُ مَوسِـــــمٌ يَتَجَلَّـــــى فَيـــهِ تَقـــوِيمُ مَســـلَكٍ ذِي انْحِـــرَافِ

وَتَـــرَى الصَّـــفحَ فِيـــهِ صَـــارَ قَرِيبـــاً فِـــي مَسَـــارٍ مُجمَـــلٍ للطَّـــوَافِ

ولعلّ الشّاعر يبدع حين يختتم دعوته النّبيلة السّامية المتمثّلة في نصّه الشّعريّ بالمطابقة والتّوحيد بين أعياد أبناء مجتمعه على اختلاف أديانهم؛ إذ يجعل عيدي الفصح والفطر متساميين، ويرمزان إلى المحبّة الشّفّافة بين المسلمين والمسيحيّين، ولعلّه بهذا يتناصّ مع القرآن الكريم، وذلك في قوله عزّ وجلّ: "..**وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**"[10]، يقول الشّاعر برهم:

عِيـــدُ فِصْـــحٍ وعِيـــدُ فِطْـــرٍ تَسَـــامَا فَهمَـــا رَمـــزُ حُبّنَـــا الشَّـــفَّافِ

وَحـــدَهُ الحُـــبُّ مَـــنْ يَشِـــيدُ حَيَـــاةً مِثْـــلَ طَـــودٍ أَشَـــمَّ عَـــالِي المَنَـــافِ

([10]) المائدة: الآية 82.

حقّاً إنّ الشّاعر في هذا النّصّ الزّاخر بالمعاني والدّلالات استخدم لغة شعريّة مشحونة بالانفعالات العاطفيّة المتأجّجة، وجعلها فاعلاً نصّيّاً استثاريّاً باغت فيه المتلقّي، فحقّق بذلك أقصى درجات الفاعليّة والتّأثير.

2- جماليّة التّوافق بين الشّكل والمضمون:

يتمثّل الموطن الثّاني من مواطن الجمال في هذا النّصّ بالتّطابق أو التّوافق بين الشّكل والمضمون؛ فقد اختار الشّاعر شكلاً شعريّاً جميلاً مألوفاً، وسكب فيه بوحه الشّعريّ، وهذا الشّكل تمثّل بنظم شعريّ رصين التزم فيه قالب القصيدة العربيّة العريق؛ إذ جعل قصيدته تتكوّن من أبيات كثيرة، وكلّ بيت فيها مكوّن من شطرين، وتنتهي جميعها بحرف واحد هو ما يسمّيه العروضيون رويّ القصيدة.

أمّا العنصر الثّاني من عناصر الشّكل فإنه يتمثّل في الوزن الشّعريّ الذي صيغت عليه القصيدة، وهو البحر الخفيف الذي يعبّر إيقاع تفعيلاته (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) عن الحركة والنّشاط والتّفاعل والمشاركة، وهذا يتناسب تناسباً تامّاً مع أجواء العيد وطقوسه الجماعية، إضافة إلى أنّ إيقاع هذا البحر يعدّ "من أكثر بحور الشّعر طلاوة ولياناً وموسيقيّة"[11].

ولعلّ اختيار الشّاعر حرف الفاء المكسور رويّاً لقصيدته يتلاءم مع مضمونها، فالقصيدة تحثّ على الألفة والمحبّة والتّصالح والتّسامح، وحرف الفاء . بصفته مهموساً رخواً منفتحاً[12] . يفيد في تعزيز هذه المعاني والدّلالات؛ ولذلك فهو يناسب الحال التي عليها الشّاعر، وفي هذا كلّه ملمح من ملامح التّناسب بين شكل القصيدة البنائيّ ومضمونها الدّلاليّ.

أمّا المضمون فتمثّل في الأفكار والقيم المعنويّة التي تضمّنتها القصيدة، ويبدو أنّ الشّاعر وُفِّق في فاتحة قصيدته الاستهلاليّة، فقد جاءت مثيرة في إيقاعاتها ورؤاها منذ الدّفقة الشّعوريّة الأولى، وهذا ينمّ على حرفيّة عالية، ومقدرة فنّيّة راسخة على التّشكيل الشّعريّ؛ فالشّاعر اختار فاتحة نصّيّة استهلاليّة مثيرة أنبأت باقتراب العيد، وشجّعت أبناء المجتمع على الالتقاء والتّصافي. أما فكرة الاستحمام بالماء، واستبدال الثّياب الجديدة بالقديمة، والتّطيّب بأفخر أنواع العطور فهي طقس تقليديّ من طقوس العيد سواء في ذلك المسلمون والمسيحيّون، ويبدو أن الشّاعر استمدّ هذه الفكرة من موروثه الدّيني المسيحيّ في إشارة لطيفة بديعة منه إلى طقس (التّعميد) في الدّيانة المسيحيّة، وما يحمله من دلالات روحيّة سامية، ولعلّه يريد أن يوائم ويطابق . عن طريق هذه الفكرة . بين الطّقوس الدّينيّة المسيحيّة والإسلاميّة؛ فالمسلمون أيضاً يغتسلون ويتطيّبون يوم العيد، وهذا من طقوسهم أيضاً. على نحو ما يظهر في قوله:

أَبْـــدِلُوا بِالقَـــدِيمِ ثَوبـــاً جَدِيـــداً فَـــاخِرَ الطِّيْـــبِ زَاخِـــراً بِالعَفَـــافِ

وَاسْـــتَحِمُّوا فَـــاسُ أَنْـــزَلَ مَـــاءً إِثْـــرَ مَـــاءٍ مِـــنَ الشَّـــوَائِبِ صَـــافِ

وَاجْعَلُـــوا المَـــاءَ عِبْـــرَةً كَـــي تَعِيشُـــوا فِـــي صَـــفَاءٍ مُبَاعِـــدٍ لِخِـــلافِ

([11]) الهاشمي، د.محمد علي، العروض الواضح وعلم القافية، دمشق: دار القلم، ط1، 1991م، ص100.

([12]) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ، مادة (فاء).

ألا يعبّر هذا عن روح الإخاء والتّعايش والمحبّة بين أبناء المجتمع كلّهم رغم اختلافهم في العقيدة الدّينيّة؟! إنّه يؤكّد هذه الفكرة أيضاً في قوله:

إِنَّمَـــا المُؤمِنُـــونَ إِخْـــوَةُ رُوْحٍ شَـــاءَهَا اللهُ شِـــرْعَةً لاالْتِفَـــافِ

فهو يتناصّ مع القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: "**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**"[13]. لكنّ الشّاعر هنا يدهشنا بذكائه وفطنته؛ إذ جعل الأخوّة بين أبناء مجتمعه روحيّة لا دينيّة؛ لأنّهم ينتمون إلى ديانتين مختلفتين.

وتبرز في المضمون الفكريّ للنّصّ قضيّة الحياة والموت؛ إذ يشير الشّاعر إلى أنّ الحياة مهما طالت فإنّ الموت ينهيها، ويقضي على معالمها، وفي ذلك عظة وعبرة؛ ليعيش أبناء المجتمع بسلام ومحبّة، على نحو ما يظهر في قوله:

وَانْظُـــرُوا فَالحَيَـــاةُ ذَاتُ حُـــدُودٍ مِثْـــلُ بَحْـــرٍ مُسَـــوَّرٍ بِالضِّـــفَافِ

وَأَحِبُّـــوا الأَنَـــامَ كَـــي تُسْـــعِدُوهُم يَـــومُكُم قَـــدْ يَكُـــونُ أَقْصَـــى المَطَـــافِ

رِحْلَـــةُ العُمْـــرِ مِثْـــلُ حُلْـــمٍ فَكُونُـــوا أَنقِيَـــاءً تَزَيَّنُـــوا بِالكَفَـــافِ

إنّه يقرّ بالحقيقة الثّابتة التي هي محدوديّة الحياة، فحياة الإنسان محدودة ولها نهاية حتميّة، وهذا من المسلّمات التي يثبتها الواقع وتؤكّدها المعتقدات الدّينيّة على اختلافها، والموت هو النّهاية المحتومة لكلّ كائن حيّ سواء أطالَتْ رحلته في الحياة أم قَصُرت، وبناء على ذلك فإنّ الشّاعر يحثّ أبناء مجتمعه على الرّضا بما منحهم إيّاه خالقهم، والمحافظة على نقاء سرائرهم وصفاء قلوبهم، وهو يشجّعهم على ترك أثَرٍ طيّب، وذِكْرٍ حسن في هذه الدّنيا عن طريق فعل الخير، وتقديم المآثر الطّيّبة، فهو يقول:

وَاتْرُكُـــوا بَعْـــدَكُم ضِـــيَاءَ فِعَـــالٍ بَصـــمَاتٍ تَبُـــوحُ بِالأَوصَـــافِ

وَحْـــدَها المَـــأثُرَاتُ تَخلُـــدُ ذِكْـــراً لامْـــرِئٍ لَـــمْ يَـــرُمْ سِـــوَى الإِنصَـــافِ

وبما أنّ الشّعر يكتب بمداد المشاعر والأحاسيس الصّادقة فإنّ التّجربة الشّعريّة لا يمكن أن تؤثّر في متلقّيها إلاّ إذا كانت مبنيّة على وقائع حقيقيّة راسخة في اختمارها الشّعوريّ، ونبضها الانفعاليّ الصّادق، وهذا ما نلمحه في هذه القصيدة فقد استطاع الشّاعر أن يوائم بين إحساساته المرهفة الصّادقة والوقائع الحقيقيّة التي يتبنّاها ويدعو إليها أبناء مجتمعه، وهذا ما يسمّى بـ"الصّدق الفنّيّ".

3- جماليّة الصّياغة والسّبك:

أمّا الموطن الثّالث من مواطن الجمال في هذه القصيدة فإنّه يتمثّل في متانة الصّياغة وحسن السّبك، ولعلّ هذه الصّفة الفنّيّة الجماليّة تبرز من خلال دقّة الدّلالة للبنى اللّفظيّة التي تكوّن المعمار الشّعريّ للنّصّ،

([13]) الحجرات: الآية 10.

فنحن إذا أردنا أن نستبدل بلفظ من ألفاظ النّصّ لفظاً آخر من خارجه يحمل الدّلالة نفسها، فإنّنا نجد أنّ ذلك متعسّراً، فمثلاً إن رغبنا في وضع لفظة (اقترَبَ) بدلاً من لفظة (قارَبَ) ، ولفظة (اعمَدُوا) بدلاً من لفظة (اجنَحُوا) لألفينا أنفسنا نُجهِز على شاعريّة العبارة، ونحطّم بناءها الإيقاعيّ الجميل. وإن حاولنا أيضاً أن نستبدل لفظة (اغتسلوا) بلفظة (استحمّوا)، وكذلك لفظة (الأوساخ) بلفظة (الشّوائب) لوجدنا أنّ اللّفظة البديلة لا تقدّم المدلول نفسه الذي تقدّمه اللّفظة الأصليّة[14]، ولا تحمل الجَرْس الموسيقيّ ذاته أيضاً. وحين نقرأ هذا البيت:

كُــلَّ عَــامٍ وَأَنْــتُمُ الخَيْــرُ فِيْــهِ وَالمُنَــى أَنْــتُم سَــكَنْتُم شَــغَافِي

فإنّ صدره الذي تضمّن العبارة الأزليّة الخالدة بألفاظها ذاتها ألا وهي (كلّ عام وأنتم بخير) ينهض دليلاً واضحاً على الدّقّة الدّلاليّة للبنى اللّفظيّة في هذا النّصّ، فنحن لن نتمكّن من استبدال ألفاظ أخرى بهذه الألفاظ؛ لرسوخها في ذاكرة المجتمع الجمعيّة، وسيرورتها على ألسنة أفراده في كلّ عيد. وهل إذا فكّرنا أن نستبدل لفظة (قلبي) بلفظة (شَغَافي) يستقيم لنا ذلك ونوفَّق فيه؟! وحين نقرأ أيضاً هذا البيت:

إِنَّمَــــا المُؤمِنُــــونَ إِخْــــوَةُ رُوْحٍ شَــــاءَهَا اللهُ شِــــرْعَةً لالْتِفَــــافِ

فهل يسمح لنا البناء التّركيبيّ (إنّما المؤمنون إخوة) أن نستبدل لفظاً آخر من خارج النّصّ بلفظ (المؤمنون) أو بلفظ (إخوة)؟! حقّاً إنّنا لا نستطيع أن ننفّذ ذلك؛ لأن الصّورة الجُمَلِيَّة لهذا التّركيب راسخة في العقول والأذهان، إضافة إلى القلوب، إذ هي جزء من نصّ مقدّس عند شريحة عريضة من شرائح المجتمع، وقد استقرّت صورتها اللّفظيّة في قلوبهم قبل أن تترسّخ في عقولهم وأذهانهم، إنّها مُستمَدّة من القرآن الكريم، على نحو ما تبيّن في موطن سابق.

ويبدو أنّ الصّياغة الشّعريّة في هذا النّصّ متينة قويّة، وأن فنّ التّشكيل اللّغويّ فيه مسبوك سبكاً حسناً رصيناً، إذ لا يستقيم لنا أيّ تغيير أو تحوير في العبارة الشّعريّة، ويقف بناؤها اللّفظيّ صامداً ثابتاً لا يقبل التّعديل.

إنّ الرّوح الجماليّة هي التي تحكم سيرورة الشّعر في بنيته اللّفظيّة الرّاسخة عند الشّاعر برهم النّصر الله من حيث الفاعليّة والدّهشة والتّأثير، وهذا يؤكّد أنّ البنية الشّعريّة اللّفظيّة عنده تشكّل الرّحم الجَمَاليّ لقصيدته في تطلّعاتها الإبداعيّة الخلاّقة للمعاني والدّلالات المناسبة.

وربّما يصحّ أن يكون التّناسب التّامّ بين البناء اللّفظيّ والمفهوم الدّلاليّ عنده تبعاً للمتغيّر الأسلوبيّ الجماليّ الذي تشكّله القصيدة في إيقاعها التّناغميّ السّائغ الجميل من حيث التّكثيف الدّلاليّ، وإبراز الأنساق التّفاعليّة المتواشجة على مستوى حركيّة البناء الشّعريّ المتين.

([14]) اقترب القوم: دنا بعضهم من بعض، قارَبَ الإناء: قَرُب من الامتلاء – اعمدوا: عَمَد للشيء: قصده، اجنحوا: جنح له: مال إليه وتابعه – اغتسلوا: اغتسل بالماء: غسل بدنه به، استحمّوا: استحمّ: دخل الحمّام – الأوساخ: الوسخ: ما يعلو الأشياء من الدّرن وقلّة التعهد بالماء، الشوائب: الشائبة: الشيء الغريب يختلط بغيره. . المعجم الوسيط، مادة: (قرب – عمد – جنح – غسل – حمم – وسخ – شاب).

4- جماليّة التّصوير[15]:

تتبوّأ الصّورة الشّعريّة منزلة مهمّة في البناء الفنّيّ للقصيدة، وتعدّ أداة مهمّة من أدوات التّشكيل الشّعريّ التي فتنت مُتَلَقِّي الشّعر سواء في ذلك القدماء والمحدثون[16]، وهي تنمّ على ذوق شعريّ فنّيّ رفيع، وروح شعريّة شفيفة لدى الشّعراء في تفاعلهم مع ألوان البيان والبديع من دون تكلّف أو افتعال؛ لأنّها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنفسيّاتهم التي تتفاعل تفاعلاً لطيفاً مع تجاربهم الشّعريّة.

ويبدو أنّ البناء الصّوريّ في القصيدة تتنوّع طرائقه وتتعدّد أساليبه تبعاً للحالة الشّعوريّة التي يعيشها الشّاعر في تفاعله مع تجربته الشّعريّة، وهذا التّنوّع في طرائق بناء الصّورة يُحدِث دلالات جماليّة وشعريّة ونفسيّة تسهم بدورها في تخصيب النّصّ الشّعريّ، بوساطة انزياحات متعدّدة تخلق توتّراً دلاليّاً وجماليّاً يشترك فيه المتلقّي فيتمثّل تجربة الشّاعر ورؤيته وموقفه.

ويأتي جمال التّصوير فيمثّل الموطن الرّابع من مواطن الجمال في نصّ (قارَبَ العِيدُ) الشّعريّ الذي نقرأه هذه القراءة الجماليّة، فقد حشد الشّاعر طائفة من الصّور البديعة في قصيدته، محاولاً إتمام معمارها بزخرفة فنّيّة.

والشّاعر المبدع هو الذي يتمكّن من تحقيق قيمة جماليّة في هندسة قصائده على المستوى الإبداعيّ، ويبدو أنّ " الكتابة بالصّور هي القانون المحوريّ الذي تنبني عليه القصيدة المعاصرة بأسرها ... والصّورة هي الشّكل الذي يستجيب للرّؤى" [17].

([15]) ثمة أبحاث درست جماليات الصورة الشعرية وهي: 1- عبد الرحمن، نقبيل، الصورة الشعرية وتشكيلاتها في الشعرية البلاغية العربية القديمة، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 8، 2010م. = 2- عليوات، سامية، الرسم بالكلمات جماليات الصورة الشعريّة في القصيدة الجزائرية المعاصرة، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 8، 2010م. = 3- دليلة، وناسي، وفريال، بركاني، جمالية الصورة الشعرية في ديوان حازم القرطاجني، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر، بإشراف: د.العلمي المكي، العام 2017-2018م. = 4- الخوالدة، زايد محمد ارحيمة، جمالية الصورة الشعرية: دراسة في نماذج مختارة من الشعر الأردني، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية بغزة، فلسطين، المجلد 29، العدد 4، 2021م. = 5- دهينة، ابتسام، الصورة الشعرية من التشكيل الجمالي إلى جماليات التخييل، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العددان 10-11، 2012م.

([16]) - ينظر مثلاً: ما قاله القاضي الجرجاني: (إنما الكلام أصوات محلّها من الأسماع محلّ النواظر من الأبصار، وأنت ترى الصورة تستكمل شرائط الحسن، وتستوفي أوصاف الكمال، وتذهب في الأنفس كلّ مذهب، وتقف من التمام بكل طريق، ثم تجد أخرى دونها في انتظام المحاسن، والتئام الخلقة، =وتناصف الأجزاء، وتقابل الأقسام، وهي أحظى بالحلاوة، وأدنى إلى القبول، وأعمق بالنفس، وأسرع ممازجة للقلب، ثم لا تعلم ... لهذه المزية سبباً، ولما خصت به مقتضى). - الجرجاني، القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ت:أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان 1930م، ص 306-307.

- وينظر أيضاً ما انتهى إليه الباحث محسن إسماعيل محمد في قوله: (الصورة الشعرية ... هي خلاصة تجربة ذهنية يخلقها إحساس الشاعر لتلك التجربة وقدرة خياله على تحويلها من كونها ذهنية غير مجردة إلى رسمها صورة بارزة للعيان يتذوقها متلقوها...). - محمد، محسن إسماعيل، الصورة الشعرية عند يحيى الغزال، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد 75 . السنة 19 . نيسان"إبريل" 1999م، ذو الحجة 1419هـ.

([17]) اليوسفي، محمد لطفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، سراس للنشر 1992م. ص 92-93.

فالشّاعر برهم النّصر الله يدهشنا في هذا النّصّ منذ اللّحظة الأولى لتلقّي القصيدة، فهو ـ في البيت الثّالث ـ يقتنص صورة بديعة هي صورة الاستحمام بالماء، وهذه الصّورة ـ على الرّغم من بساطتها ـ بدت مدهشة؛ لأنّه استمدّها من صورة (التّعميد) في ديانته المسيحيّة، على نحو ما بيّنتُ في موطن سابق، وربطها ربطاً رائقاً لطيفاً بصورة (الطّهارة) في الدّيانة الإسلاميّة، فكانت راسخة في تموضعها، ومناسبة لمضمون القصيدة في بنيتها، ومنسجمة مع الوقائع الحقيقيّة لطقوس العيد. على نحو ما يظهر في قوله:

وَاسْتَحِمُّوا فَاللهُ أَنْزَلَ مَاءً إِثْرَ مَاءٍ مِنَ الشَّوَائِبِ صَافِ

ثمّ إنّه أردف هذه الصّورة بصورة أخرى استمدّها من الماء أيضاً؛ إذ جعل صفاء العيش وخلوّه من الخلافات التي تكدّره متعلّقاً بصفاء الماء وعذوبته وسلاسته، فهو يقول:

وَاجْعَلُوا المَاءَ عِبْرَةً كَي تَعِيشُوا فِي صَفَاءٍ مُبَاعِدٍ لِخِلافِ

إنّها دعوة كريمة يوجّهها الشّاعر إلى أبناء مجتمعه كي يعيشوا شركاء متصافين، متحابّين، نابذين خلافاتهم، متعاونين على بناء مستقبل زاهر، وهذا يشكّل لبنة أساسيّة من لبنات المضمون الفكريّ للقصيدة، ويأتلف ائتلافاً قويّاً معه.

ولعلّ براعة الشّاعر ومقدرته الفنّيّة تظهران في دقّة صوره، فهو حينما يرسم صورة للحياة فإنّه يبيّنها محدودة، لكنّه يحترس من أن يظنّ المتلقّي أنّ محدوديّتها تعني أن تكون ضيّقة؛ لذلك فإنّ الشّاعر يشبّهها بالبحر؛ ليؤكّد اتّساعها وامتدادها وامتلاءها بالأحياء والأسرار والأمور الغريبة، مثلها مثل البحر تماماً، فهي لها حدود تحدّد بدايتها ونهايتها كما للبحر ضفاف وشواطئ تحدّد جهاته وجوانبه. على نحو ما يظهر في قوله:

وَانْظُرُوا فَالحَيَاةُ ذَاتُ حُدُودٍ مِثْلُ بَحْرٍ مُسَوَّرٍ بِالضِّفَافِ

ويبدو أنّ درّة البناء الصّوريّ في هذا النّصّ البديع الطّافح بالتّخييل هي الصّورة التي رسمها الشّاعر بريشة روحه المُحِبّة النّقيّة في نهاية قصيدته، وهذه الصّورة هي صورة الحبّ أو المحبّة التي دعا إليها أبناء مجتمعه، وجعلها محور المضمون الفكريّ في القصيدة، فهو يجسّد وجيب فؤاده الصّادق طفلاً يهتف بأعلى صوته وهو راغب في هذا الهتاف، ولا يخفى ما في هذه الصّورة ـ صورة الطّفل وهو يهتف بولع ـ من الانسجام والائتلاف والتّناسب مع طبيعة الطّفولة وبراءتها وعفويّتها. ثمّ إنّه جعل هذا الحبّ نابعاً من أعماق قلبه كي يليق بأحبّته الذين يألفهم، وهذا الحبّ سامٍ متجلٍّ ثابت كالشّمس التي لا تغيب، وهو راسخ كرسوخ الجبال الشاهقات، وإنّ العيد ينساب انسياباً كالنّبع السّلسبيل، وإن عِيدَي الفصح والفطر رمزان حقيقيّان للحبّ. إنّها صور للحبّ متلاحقة، ائتلفت وانسجمت فيما بينها، فشكّلت لوحة زاهية اسمها المحبّة التي تبني الحياة، على نحو ما يظهر في قوله:

هَتَفَ القَلْبُ صَادِقاً مِثْلَ طِفْلٍ رَفَعَ الصَّوتَ مُولَعاً بِالهُتَافِ
لِلأَحِبَّاءِ مِنْ عُيُونِ فُؤَادِي كُلُّ حُبٍّ يَلِيقُ بِالأُلَّافِ

يَـــا لَحُـــبٍّ لَكُـــم تَجَلَّـــى بِقَلبِـــي فَتَسَـــامَى شَمْسـاً بِغَيـــرِ انْكِسَـــافِ
كُـــلُّ عِيـــدٍ يَجِـــيءُ يَنسَـــابُ نَبْعـــاً سَلسَـــبِيلاً يَطِيـــبُ مِنـــهُ ارتِشَـــافِي
عِيـــدُ فِصْـــحٍ وعِيـــدُ فِطْـــرٍ تَسَـــامَا فَهمَـــا رَمـــزُ حُبِّنَـــا الشَّـــفَّافِ
وَحـــدَهُ الحُـــبُّ مَـــنْ يَشِـــيدُ حَيَـــاةً مِثـــلَ طَـــودٍ أَشَـــمَّ عَـــالِي المَنَـــافِ

ويبدو أنّ الشّاعر يريد أن "يجعل النّصّ الشّعريّ بأكمله يقوم على أساس الصّورة التي يحتاج إخراجها إلى غوص الفكر في خلجاتها، وإجالة الذّهن في كوامنها وخصائص نظمها وسياقها، وهذا كلّه يشي بروح الإيقاع الذي يتحقّق من خلال الانسجام والتّناسب بين الصّور المتلاحقة"[18].

إنّ احتفاء الشّاعر بالصّور هو احتفاء ببناء نسق شعريّ قائم على المثيرات الدّراميّة المفتوحة، وإنّ هذا التّشكيل الشّعريّ يجعل الرّؤيا الشّعريّة متغيّرة في تجلّياتها الإبداعيّة، تبعاً لفاعليّة الصّورة الشّعرية عنده وغناها بالمؤثّرات الدّلاليّة التي تحقّق وقعها الجماليّ بأوجز عبارة وأرقى صورة شعريّة.

وختاماً يمكن أن أقول: إنّ دراسة هذه القصيدة دراسة جماليّة تفضي إلى نتائج منها: أنّ الشّاعر أغنى تجربته الشّعريّة في قصيدته عن طريق احتفائه بالعناصر المكوّنة والمؤثّرة في القيمة الجماليّة، وأنّه أثراها بدلالات شتّى نابعة من روحه الشّعريّة المفعمة بالرّؤى والانفعالات المثيرة، وأنّ التّشكيل الشّعريّ لهذه القصيدة . بتكثيفه وعمقه وتنوّعه . غدا فاعلاً متّسع الدّلالة قابلاً للتّأويل، وأنّ التّطابق بين الألفاظ ومعانيها، والتّوافق بين الشّكل والمضمون، والتّناسب بين الصّور الفنّيّة والواقع الحقيقيّ في هذا النّصّ عبّر عن المواءمة والانسجام بين الإحساس المرهف والوقائع الحياتيّة. وربّما يصح القول بأنّ هذا النّص يحمل قيمة معرفيّة، وأخرى اجتماعيّة إضافة إلى قيمتة الفنّيّة.

([18]) ترمانيني، خلود، الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث، أطروحة دكتوراه بإشراف: د.أحمد زياد محبك، جامعة حلب 2004م، ص264.

المصادر والمراجع:

. القرآن الكريم.

1. إسماعيل، د.عزّ الدين، الأسس الجمالية في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2 1968م.
2. ترمانيني، خلود، الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث، أطروحة دكتوراه بإشراف: د.أحمد زياد محبك، جامعة حلب، 2004م.
3. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998م.
4. الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ت: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965م.
5. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1991م.
6. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ومطبعة المدني، د.ط، د.ت.
7. الجرجاني، القاضي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ت: أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، د.ط، لبنان، 1930م.
8. حسين، د.عبد الكريم محمد وآخران، دراسات في علم الجمال، منشورات جامعة دمشق، د.ط، 2019م.
9. خليفة، عبود، قضية اللفظ والمعنى في الميزان الجرجاني، مجلة حوليات كلية الآداب واللغات لجامعة طاهري محمد بشار، الجزائر، العدد15.
10. الخوالدة، زايد محمد ارحيمة، جمالية الصورة الشعرية: دراسة في نماذج مختارة من الشعر الأردني، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية بغزة/ فلسطين، المجلد 29/ العدد4 – 2021م.
11. دليلة، وناسي، وفريال، بركاني، جمالية الصورة الشعرية في ديوان حازم القرطاجني، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، كلية الآداب واللغات، بإشراف: د.العلمي المكي، الجزائر، العام 2017–2018م.
12. دهمان، د. أحمد علي، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً، دار طلاس، دمشق، ط1، 1986م.
13. دهينة، ابتسام، الصورة الشعرية من التشكيل الجمالي إلى جماليات التخييل، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العددان: 10–11 / 2012م.
14. الرباعي، عبد القادر، جماليات المعنى الشعري: التشكيل والتأويل، دار جرير، عمّان/ الأردن، ط1، 2009م.
15. الرباعي، عبد القادر، قراءة في النص الشعري التراثي وتأويله: عينيّة ابن المعتز أنموذجاً، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 10، العدد: آب 2013م.

16. ابن طباطبا، عيار الشعر، ت: د.طه الحاجري ود.محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، القاهرة 1956م.
17. عصفور، د.جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1992م.
18. عبد الرحمن، نقبيل، الصورة الشعرية وتشكيلاتها في الشعرية البلاغية العربية القديمة، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد8، 2010م.
19. العسكري، أبو هلال، الصناعتين (الكتابة والشعر)، ت: د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981م.
20. العشماوي، د.محمد زكي، قضايا النقد الأدبي والبلاغة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ط، الإسكندرية، مصر، 1968م.
21. عليوات، سامية، الرسم بالكلمات جماليات الصورة الشعرية في القصيدة الجزائرية المعاصرة، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد8، 2010م.
22. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ت: الشيخ محمد عبد المنعم العربان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1994م.
23. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ت: محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م.
24. كليب، د.سعد الدين، البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي، وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1997م. وط2، دار نون4، حلب، 2006م.
25. محمد، محسن إسماعيل، الصورة الشعرية عند يحيى الغزال، مجلة التراث العربي . مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد75، السنة19، نيسان "إبريل" 1999م، ذو الحجة 1419 هـ.
26. مرعي، د.فؤاد، الجمال والجلال (دراسة في المقولات الجمالية)، دار طلاس، د.ط، دمشق، 1991م.
27. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، د.ط، القاهرة، 1972م.
28. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ.
29. النصر الله، برهم، لكَ طاب الغناء، مجموعة شعرية، د.ط، دمشق 2023م.
30. الهاشمي، د.محمد علي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، دمشق، ط1، 1991م.
31. هلال، د. محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1971م.
32. اليافي، د.عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، مطبعة جامعة دمشق، د.ط، 1963م.
33. اليوسفي، د.محمد لطفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، سراس للنشر، د.ط، 1992م.

The Aesthetics of poetic composition in the poetry of Barham Nasrallah in Aesthetics reading of the poem Qaraba Al-Eid (Al-Eid is Nearby)

Abstract

The research discusses a poetic poem titled "Qaraba Al -Eid " "Al Eid is nearby" by the poet Barham Nasrallah. through this research, I have attempted to explore the beautiful poetic spaces of the text, to examine its aesthetics structure, and highlight its poetic beauty that has become a remarkable active master piece that offers the reader multiple options for interpretation.

Reading a poetic text from an aesthetics perspective, according to the principles of aesthetics, reveals the deep poetic vision of the creative poet in his poetic experience that concords with the real-life facts of life. The poet enriches his poetic experience by celebrating the constituent and influential elements of aesthetics value, and providing them with connotations that rise from his poetic spirit, filling with beautiful visions and emotions.

The aesthetics beauty of the poetic composition with the level of textual appears to be an influential interactive value in creating effects that surprise the receiver discoveries that achieve their creative value .

Key words: (aesthetics – poetry – text- poet- visions)